من جماليات التعبير القرآني
(الدلالة الاسمية والدلالة الفعلية في تفسير الفخر الرازي ت605هـ)

أ. الحسين بركات
جامعة المسيلة

توطئة: ولد الفخر الرازي في مدينة الري سنة (544هـ) وإليها نسبته بالرازي ، وتوفي بها سنة (605هـ) ؛ حيث تميز العصر الذي عاش فيه وهو القرن السادس الهجري بالتناقضات السياسية والانقسامات الدينية والفكرية ؛ وذلك بسبب الحملات الصليبية الوافدة من الغرب وطلائع التتار الزاحفة من شمال الشرق الأقصى, الأمر الذي أدى إلى ضرورة التوحد في العالم الإسلامي للتصدي لهذين الخطرين ، فحصلت الوحدة في المغرب بفضل البربر (المرابطون والموحدون) ,كما حصلت الوحدة في الشرق بفضل القوة التركية (قوة السلاجقة) ثم (الخوارزميين) إلا أن هذه الأخيرة تميزت بالتناقض الداخلي ؛ حيث اقتصرت سلطة الخليفة العباسي في خارج بغداد على المظهر الديني ، ونشأت دويلات متصارعة عاصرها الإمام وأهمها : الدولة الغزنوية[1] ، والدولة السلجوقية[2] ، والدولة الخوارزمية[3] ، والدولة الفورية[4]. إلا أن هذا الاضطراب في الحياة السياسية كان له الأثر الإيجابي على مستوى الحياة الفكرية عموما وظهرت من جديد المناقشات الكلامية والفقهية والفلسفية والعلمية. وقد شهد العالم الإسلامي في هذا القرن أي القرن السادس الهجري ولادة مفكرين: ابن رشد (ت595هـ) في المغرب العربي ، و فخر الدين الرازي(ت605هـ) في مشرق العالم الإسلامي[5].

إن لدلالات الألفاظ أثر كبير في تفسير القرآن الكريم باعتبارها أصغر وحدة لغوية تشكل الجملة ، وباعتبار ما تحمله من طاقة تعبيرية في دلالة الجملة ومن ثم بناء النص ، فعلى مستوى اللفظ المفرد اهتم بالمفردة من حيث مادتها ، وبنيتها ، واشتقاقها. واهتم أيضا بالإيحاءات الدلالية للمفردة أثناء استعمال التعبير القرآني لها في التركيب ، كدلالة الاسم من حيث تنوعه: إفرادا وجمعا ، تعريفا وتنكيرا ، وغير ذلك. وكدلالة الأفعال وما تحمله من معاني بلاغية دقيقة ، كدلالة الماضي والمضارع والأمر ، وكل ذلك من خلال السياق القرآني وهو ما يمكن تسميته بخصوصية الاستعمال القرآني للألفاظ.

وسأقتصر في هذا المقال على البحث في الدلالة الاسمية والدلالة الفعلية وذكر نماذج عن ذلك ، والتي أرى أن للفخر الرازي حس لغوي رفيع في كيفية معالجتها في تفسيره ، ولعل ما سأحاول عرضه يجلي الفكرة ويفي بالغرض من خلال:

أ .دلالة الأسماء: 1. المصادر. 2.الإفراد والجمع. 3.التعريف والتنكير.
ب .دلالة الأفعال: 1.دلالة الماضي. 2.دلالة المضارع. 3.الأمر ودلالاته.

التحليل.

أ . دلالة الأسماء : يدل الاسم على الحقيقة دون زمانها ؛ أما الفعل فإنه يدل على الحقيقة وزمانها ، وكل ما كان زمانيا فهو متغير ، ولذلك فالأسماء تدل على الثبوت ، وهي ذات طبيعة تحتمل التأويل أكثر من الأفعال والأدوات ، فأدى هذا إلى تنوع في الدلالة وإلى اختلاف المفسرين في تأويل دلالة بعض الأسماء.

1 . دلالة المصادر. المصدر هو ما دل على حدث غير مقترن بزمن ، وهو أصل الاشتقاق عند البصريين منه يشتق الفعل وبقية المشتقات بخلاف الكوفيين الذين يرون أن الفعل هو أساس الاشتقاق[6].

وقد عرض الرازي لكثير من المصادر في تفسيره وبين الدلالات التي حملتها في التعبير القرآني من خلال السياقات التي وردت فيها. ومن ذلك دلالة لفظ (الكلالة) في قوله تعالى: {وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ}[النساء: من الآية 12] إذ هي مصدر من الفعل الثلاثي (كل)، وفي بيان دلالتها في الآية تعددت مذاهب المفسرين في ذلك ، فمنهم من رأى بأنها تدل على الميت الذي لم يترك ولدا ولا والدا ، ومنهم قال أنها بمعنى المال الموروث ، ومنهم من ذكر أنها دالة على الوارث المباشر ، ومنهم من رأى بأنها دالة على الأقارب الأباعد[7].

وهذا الأخير مذهب الفخر الرازي ، وقد ذكر اختلاف الأقوال في دلالتها ابتداء من قول أبي بكر الصديق في مفهومها ، وهو الذي اختاره ودلل عليه من حيث أصله اللغوي الذي يتناسب وسياق الآية ، ومن خلال الاستعمال القرآني لهذا اللفظ ، يقول :"كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة واختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنها عبارة عمن سوى الوالدين والولد وهذا هو المختار والقول الصحيح "[8].

فالحجة الأولى: من حيث الاشتقاق ذكر وجوها: "... الأول: يقال كلت الرحم بين فلان وفلان إذا تباعدت القرابة ، وحمل فلان على فلان ثم كل عنه إذا تباعد. فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه.

الثاني: يقال: (كل الرجل يكل كلا وكلالة) إذا أعيا وذهبت قوته. ثم جعلوا هذا اللفظ استعارة من القرابة الحاصلة لا من جهة الولادة ، وذلك لأنا بينا أن هذه القرابة حاصلة بواسطة الغير فيكون فيها ضعف وبهذا يظهر أنه يبعد إدخال الوالدين في الكلالة لأن انتسابهما إلى الميت بغير واسطة.

الثالث: (الكلالة) في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة ، ومنه (الإكليل) لإحاطته بالرأس ومنه (الكل) لإحاطته بما يدخل فيه. ويقال: تكلل السحاب إذا صار محيطا بالجوانب.

إذا عرفت هذا فنقول من عدا الوالد والولد إنما سموا بالكلالة ؛ لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان وكالإكليل المحيط برأسه ، أما قرابة الولادة فليست كذلك فإن فيها يتفرع البعض

عن البعض ، ويتولد البعض من البعض كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد ... فثبت بهذه الوجوه الاشتقاقية أن (الكلالة) عبارة عمن عدا الوالدين والولد" [9]. ومن دلالات المصادر والتي جاء منها في التعبير القرآني بمعنى معين وهذه المصادر يكون لها من الفعل الواحد مصادر متعددة وخاصة الفعل الثلاثي منها كالفعل (مكث) الذي يشتق منه: (مكثا ومكثا ومكوثا)، والفعل: (وجد) الذي يشتق منه: (وجدا ووجدا ووجدانا وموجدة) ...وغيرها[10] ومما جاء في القرآن الكريم لفظتي (الصوم) و(الصيام) فقد بين الرازي دلالة كل واحد منهما عند تفسيره لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة:183] فقال:" اعلم أن (الصيام) مصدر (صام) كالقيام وأصله في اللغة: الإمساك عن الشيء والترك له ، ومنه قيل للصمت صوم ؛ لأنه إمساك عن الكلام قال الله تعالى:{ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً }[مريم: من الآية 26] "[11]. فكلمة (الصوم) بهذه الصيغة تدل على الصمت ، وقد وردت في هذه الآية فقط. أما كلمة الصيام فقد وردت بهذه الصيغة والدلالة في آيات كثيرة[12].

ومن التعبيرات القرآنية الوصف بالمصدر وهو خلاف الأصل ، لأن الوصف إنما يكون بالمشتق إلا أن العرب إذا أرادوا المبالغة في الشيء وأنه عين الحدث وصفوه بالمصدر فيقولون: (رجل عدل) كأنه العدل ذاته ، و(رجل بخل) كأنه عين البخل ، وقد رصد الرازي هذا الوصف بالمصدر في كثير من المواطن منها المصدر (كذب) في قوله تعالى: { وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف:18] ، يقول:"... (بِدَمٍ كَذِبٍ) أي مكذوب فيه إلا أنه وصف بالمصدر على تقدير دم ذي كذب ولكنه جعل نفسه كذباً للمبالغة قالوا: والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر كما يقال: "ماء سكب" ؛ أي مسكوب ، و"درهم ضرب الأمير" و"ثوب نسج اليمن" والفاعل كقوله:{إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً}[الملك: من الآية30] ورجل عدل وصوم ونساء نوح"[13].

وإلى هذا ذهب الزمخشري بأنه وصف بالمصدر مبالغة ، كأنه نفس الكذب وعينه ، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه ، والزور بذاته[14].

2 . **الإفراد والجمع.** من صيغ الاسم الإفراد والجمع وقد بين الفخر الرازي شيئا من خصوصية الاستعمال القرآني للألفاظ لهما في مواطن كثيرة من تفسيره نذكر من ذلك التعبير في آية واحدة بلفظ الإفراد والجمع معا ، وذلك في قوله تعالى:{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}[القمر:16] إذ (العذاب) مفرد و(النذر) جمع ، فرأى أن الجمع يشير إلى تعدد رحماته ونعمه ، والمفرد يشير إلى أن عذابه واحد ، يقول: "هذا الموضع جمع نذير الذي هو مصدر معناه إنذار فما الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل: فكيف كان أنواع عذابي ووبال إنذاري. نقول: فيه إشارة إلى غلبة الرحمة الغضب ، وذلك لأن الإنذار إشفاق ورحمة. فقال:

الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت ، فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة "[15]. وعند تفسير قوله تعالى:{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }[الذاريات: 15] ، يتساءل الرازي عن سر التعبير في الكلمة الواحدة مرة بالجمع ومرة بصيغة المفرد وأخرى بصيغة المثنى في آيات مختلفة يبين ذلك بأن كل صيغة تناسب السياق الذي وردت فيه وكان ذلك في لفظ الجنة. قال تعالى:{ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ }[الرعد: من الآية35] بلفظ المفرد ، وقال تعالى:{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }[الحجر:45] بلفظ الجمع. وقال تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن:46] ، بصيغة التثنية ، فيقول :"...فما الحكمة فيه ؟ نقول: أما (الجنة) عند التوحيد فلأنها لاتصال المنازل والأشجار والأنهار كجنة واحدة وأما حكمة الجمع فلأنها بالنسبة إلى الدنيا وبالإضافة إلى جنانها جنات لا يحصرها عدد ..."[16] أما الجنة عند التثنية ، فقال:" ...وفيه وجوه: أحدها أنهما جنة للجن وجنة للإنس لأن المراد هذان النوعان. وثانيهما: جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي ؛ لأن التكليف بهذين النوعين. وثالثها: جنة هي جزاء وجنة أخرى زيادة على الجزاء..."[17] . وعبر القرآن الكريم بلفظ (الريح) تارة بالجمع وأخرى بالمفرد ، والتمس الرازي في ذلك فروقا دلالية خاصة ، فذكر أن (الريح) تأتي في مقام ذكر العذاب ، أما (الرياح) فتأتي في سياق الرحمة مستدلا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول الرازي:" ... ما روي في الحديث من أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا هبت الريح قال (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً). فإنه يدل على أن مواضع الرحمة بالجمع أولى ، قال تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ} [الروم 46] وإنما يبشر بالرحمة وقال في موضع الإفراد: { وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ } [الذاريات:41] ، وقد يختص اللفظ في القرآن بشيء فيكون أمارة له ... "[18]. وفي موضع آخر يلتمس تعليلات لهذا التعبير ، فيقول:" سمى النافعة رياحاً والضارة ريحاً لوجوه:

أحدها: النافعة كثيرة الأنواع كثيرة الأفراد فجمعها فإن كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة في أعوام ؛ بل الضارة في الغالب لا تهب في الدهور.

الثاني: هو أن النافعة لا تكون إلا رياحاً فإن ما يهب مرة واحدة لا يصلح الهواء ، ولا ينشىء السحاب ، ولا يجري السفن. وأما الضارة بنفحة واحدة تقتل كريح السموم.

الثالث: هو أن الريح المضرة إما أن تضر بكيفيتها أو بكميتها..."[19] . وقد فرق بينهما كل من الزمخشري في كشافه[20] ، والواحدي في بسيطه[21]. لكنهما لم يشيرا إلى ما ذهبا إليه في قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} [يونس من الآية 22] بالرغم من اجتماع الصيغتين في سياق واحد.

وفي آية أخرى وهي قوله تعالى:{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ}[الأنعام:1] يوضح الفخر الرازي سبب جمع (الظلمات) وتوحيد (النور) ، فيقول: "لقائل أن يقول: لم ذكر (الظلمات) بصيغة الجمع و(النور) بصيغة

الواحد ؟ فنقول: أما من حمل (الظلمات) على الكفر و(النور) على الإيمان فكلامه ههنا ظاهر ؛ لأن الحق واحد والباطل كثير ، وأما من حملها على الكيفية المحسوسة ، فالجواب أن (النور) عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم إنها تقبل التناقص قليلاً قليلاً ، وتلك المراتب كثيرة فلهذا السبب عبّر عن(الظلمات) بصيغة الجمع "[22].

3. التعريف والتنكير. جاء في التعريفات: "المعرفة: ما وضع ليدل على شيء بعينه ، وهي المضمرات ، والأعلام ، والمبهمات ، وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما"[23] . و"النكرة: ما وضع لشيء لا بعينه كرجل ، وفرس"[24]. فالتعريف والتنكير بابان من علم المعاني ، وقد يخرج كل واحد منهما عن معناه الحقيقي إلى معان وأغراض بلاغية أخرى. وذكر الفخر الرازي بعضا منها في تفسيره ، وسأذكر بشيء من الإيجاز نماذج منها والبداءة بالتعريف. والتعريف صور منها: التعريف بأل ، والتعريف بالإضافة ، والتعريف باسم الموصول وباسم الإشارة ، وكل هذه الأنواع عرض لها الرازي بشيء من التحليل وبيان الدلالات التي تؤديها ضمن السياق الذي وردت فيه وسأكتفي بذكر نماذج مما يجلي الفكرة . ففي قوله تعالى: { وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً }[الإسراء:80] ، يبين الفخر الرازي الغرض من التعريف بالإضافة وهو المدح وهذا شائع عند المفسرين والبلاغيين يقول: "ومعنى إضافة (المدخل) و(المخرج) إلى الصدق مدحهما ، كأنه سأل الله تعالى: إدخالاً حسناً وإخراجاً حسناً لا يرى فيهما ما يكره"[25].

ويأتي التعريف بالإضافة لغرض التعظيم والتشريف كما في قوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ }[القدر:4] ، يقول:" قوله: (رَبِّهِم) يفيد تعظيماً للملائكة وتحقيراً للعصاة كأنه تعالى قال: (كانوا لي فكنت لهم)"[26].

وأيضا في قوله تعالى: { ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } [السجدة:9] ، يقول:" وقوله تعالى:(وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ) إضافة (الروح) إلى نفسه كإضافة (البيت) إليه للتشريف"[27].

أما التعريف بـ (أل) فقد ذكر أن من دلالاتها أنها تفيد الاستغراق ، أو تدل على المعهود السابق إذا دخلت على الاسم سواء كان مفردا أو جمعا كما في قوله تعالى: { فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ } [النساء: من الآية34]. يقول: "واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها ؛ لأن الله تعالى قال: فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ } والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة فهي لا بد وأن تكون قانتة مطيعة "[28]. وكما في قوله تعالى:{ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } [الأنعام:38] دخول (أل) على لفظ (الكتاب) يدل على المعهود السابق وهو (القرآن) ، يقول:"... أن المراد منه (القرآن) وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق والمعهود

السابق من الكتاب عند المسلمين هو (القرآن) فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية (القرآن)"[29].

ومن التعريف باسم الإشارة ودلالته التعظيم والتفخيم ما جاء في قوله تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص:83] يقول:"... أما قوله: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) فتعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما"[30].

ومن ذلك دلالتها على التعظيم كما في قوله تعالى: { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } [الإسراء: من الآية23] يقول:"... أنه قال: (إِحْسَاناً) بلفظ التنكير والتنكير يدل على التعظيم ، والمعنى: وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً عظيماً كاملاً ؛ وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك "[31].

وتدل على التكثير والتعظيم معا في كلمة واحدة كما جاء في كلمة (فاكهة) في قوله تعالى: { فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ } [الرحمن:11] ، يقول:" والتنكير للتكثير ؛ أي كثيرة كما يقال: (لفلان مال) ؛ أي عظيم ، وقد ذكرنا وجه دلالة التنكير على التعظيم وهو أن القائل كأنه يشير إلى أنه عظيم لا يحيط به معرفة كل أحد ، فتنكيره إشارة إلى أنه خارج عن أن يعرف كنهه"[32]. ويدل التنكير أيضا على الكمال والتمام كما بين الفخر الرازي ذلك في كثير من الآيات منها قوله تعالى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً } [الإسراء: 79] يقول:" وأيضاً التنكير في قوله (مقاماً محموداً) يدل على أنه يحصل للنبي عليه السلام في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل "[33].

ومنها أيضا تنكير لفظة (صبرا) في قوله تعالى: { وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} [الأعراف:126] إذ أفادت الكمال والتمام يقول:" أن قوله: { صَبْراً } مذكور بصيغة التنكير وذلك يدل على الكمال والتمام ؛ أي: صبراً كاملاً تاماً ، كقوله تعالى:{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ }[البقرة: 96] ؛ أي على حياة كاملة تامة "[34].

وللفخر الرازي ذوق أدبي رفيع يتجلى من خلال استنباطه للمعاني الدقيقة وهي المعاني الخفية التي لا يمكن الوصول إليها إلا للعارف بأسرار هذه اللغة وأساليبها ، والمتدبر في كلام الله تعالى ، وعلى سبيل المثال ما استنبطه من معاني لطيفة ، وفروق دلالية بين التعريف والتنكير حينما جمع بينهما التعبير القرآني في آية واحدة أو في آيتين متشابهتين. من ذلك قوله تعالى: { أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } [ق:15] يقول متسائلا عن الفرق بين دلالة (الخلق) تعريفا و(خلق) تنكيرا :" وفي تعريف الخلق الأول وتنكير خلق جديد وجهان:

أحدهما: ما عليه الأمران لأن الأول عرفه كل واحد وعلم لنفسه ، والخلق الجديد لم يعلم لنفسه ولم يعرفه كل أحد ؛ ولأن الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد.

والوجه الثاني: أن ذلك لبيان إنكارهم للخلق الثاني من كل وجه ، كأنهم قالوا: (أيكون لنا خلق ما) على وجه الإنكار له بالكلية"[35].

ومن دقائق المعاني والتي استنبطها الفخر الرازي وهي أن التنكير قد يفيد ما يفيده التعريف وينعكس إن أمن اللبس ، فيعرف المنكر لشيوعه ولعظمته ، وينكر المعرف لشهرته وهذا من خصوصية التعبير التي امتاز بها القرآن ، كما في قوله تعالى: { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ } [الطور:61] ، يقول: "ما الحكمة في تنكير(الكتاب) وتعريف باقي الأشياء؟ نقول: ما يحتمل الخفاء من الأمور الملتبسة بأمثالها من الأجناس يعرف باللام فيقال: (رأيت الأمير) و(دخلت على الوزير) ؛ فإذا بلغ الأمير الشهرة بحيث يؤمن الالتباس مع شهرته ويريد الواصف وصفه بالعظمة يقول: (اليوم رأيت أميراً ما له نظير ، جالساً وعليه سيما الملوك) ، وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم. والسبب فيه أنك بالتنكير تشير إلى أنه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنه عظمته فيكون كقوله تعالى:{ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ }[الحاقة:1،3] فاللام وإن كانت معرفة لكن أخرجها عن المعرفة كون شدة هولها غير معروف ، فكذلك ههنا (الطور) ليس في الشهرة بحيث يؤمن اللبس عند التنكير وكذلك (البيت المعمور) ؛ وأما (الكتاب الكريم) فقد تميز عن سائر الكتب بحيث لا يسبق إلى أفهام فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر قصداً للفائدة الأخرى ، وهي في الذكر بالتنكير ، وفي تلك الأشياء لما لم تحصل فائدة التعريف إلا بآلة التعريف استعملها وهذا يؤيد كون المراد منه القرآن وكذلك اللوح المحفوظ مشهور"[36].

ب . دلالة الأفعال . يدل الفعل على الحدث المرتبط بالزمن من حيث المضي والاستقبال وعلى التجدد من حيث الاستمرار. وللفعل خصائص عديدة تعمل على تحديد دلالته ، ومنها خاصية حيوية الحدث وارتباطه بالزمن ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وكذا بنيته الصرفية ثم من خلال تركيبه مع غيره من عناصر الجملة ودور السياق في ذلك ؛ حيث يعد: " التركيب الفعلي من أهم التراكيب على المستوى الأفقي ، ويشتمل التركيب الفعلي أحيانا على تراكيب صغرى مثل التركيب الإضافي ، والجار والمجرور أو كلمات لها تعلق بالفعل دلاليا ..." [37]

ولذلك لا يمكن فهم الدلالة بمعزل عن الصورة التركيبية ، والفعل ركن أساسي في حمل الدلالة الخصوصية وكذا الدلالة السياقية ، وأن هذه الدلالة تجلت كثيرا في تفسير الرازي وكان لها الأثر البارز في الكشف عن المعنى القرآني ، وكل ذلك من خلال فهمه العميق لخصائص الكلام سواء ما تعلق منه بخصائص الفعل أو الاسم داخل التراكيب ، ففي قوله تعالى: { إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [الأنعام:95] يوضح الفرق بين التعبير بالفعل (يخرج) ، والتعبير باسم الفاعل

(مخرج) ويبين خصائص كل كلمة ، ولكي يصل إلى تلك الدلالة يقوم بتحليل الصورة التركيبية للآية فيبين أن الجملة (وَمُخْرِجُ الْمَيّتِ مِنَ الْحَي) معطوفة على جملة (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)، يقول الرازي: "... قلنا قوله: (وَمُخْرِجُ الْمَيّتِ مِنَ الْحَيّ) معطوف على قوله (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)، وقوله: (يُخْرِجُ الْحَيَ مِنَ الْمَيّتِ) كالبيان والتفسير لقوله: (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)؛ لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس إخراج الحي من الميت ؛ لأن النامي في حكم الحيوان. ألا ترى إلى قوله: (يُخْرِجُ الْحَيَ مِنَ الْمَيّتِ) وفيه وجه آخر وهو أن لفظ الفعل يدل على أن ذلك الفاعل يعتني بذلك الفعل في كل حين وأوان ، وأما لفظ الاسم فإنه لا يفيد التجدد والاعتناء به ساعة فساعة "[38]. وفي قوله تعالى: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [الأعراف : 62] بين أن الله تعالى عبر بصيغة الفعل(أنصح) للدلالة على أن الفعل يفيد التجدد والاستمرار ، وأن نوحا عليه السلام كان يكرر دعوته لقومه ليلا ونهارا ، يقول الفخر الرازي:" ... وإذا ثبت هذا فنقول: إن القوم كانوا يبالغون في السفاحة على نوح عليه السلام ، ثم إنه في اليوم الثاني كان يعود إليهم ويدعوهم إلى الله وقد ذكر الله تعالى عنه ذلك فقال: { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً }[نوح: 5] فلما كان من عادة نوح عليه السلام العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: (وَأَنصَحُ لَكُمْ)"[39]. وللوقوف أكثر على الدلالة الخصوصية لأنواع الفعل ، وأنها تختلف بحسب صيغة الفعل مع ارتباطها بالسياق الذي ترد فيه يتوجب ذكر أمثلة عن كل نوع:

1 . دلالة الفعل الماضي. من أهم الخصائص التي ميزت التعبير القرآني أنه يستعمل الفعل الماضي للتعبير عن المستقبل ، وكان توجيه الفخر الرازي لذلك أنه متحقق الوقوع مقطوع به ، وقد بين ذلك في كثير من المواطن منها ما ذكره في قوله تعالى: { وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ } [النمل: 87] من أنه عبر بصيغة الماضي (فزع) عن حالة مرتبطة بحدوث النفخة الأولى مستقبلا : " فاعلم أنه إنما قال (ففزع) ولم يقل: (فيفزع) للإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة ؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى"[40]. وفي قوله تعالى:{ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ }[إبراهيم :21] عبر بصيغة الماضي (وبرزوا) والحدث لم يقع تأكيدا أنه بمثابة الذي وقع وانتهى ، يقول: "قوله: (وبرزوا) ورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال ؛ لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو صدق وحق ، فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ، ونظيره قوله: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ }[الأعراف:50] "[41].

وفي موطن آخر يذكر الفخر الرازي الدلالات المتعددة المستفادة من التعبير بالماضي وأنه في معنى الاستقبال في قوله تعالى: { وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً} [مريم: الآيتان 5، 6] فالتعبير (وكانت امرأتي عاقرا) بصيغة الماضي لكنه في معنى الاستقبال إذ يبين تعدد دلالته:"... أي أنها عاقر في الحال وذلك لأن العاقر لا تحول ولوداً في العادة ففي الإخبار عنه بلفظ الماضي إعلام بتقادم العهد في ذلك وغرض زكرياء من هذا الكلام بيان استبعاد حصول الولد فكان إيراده بلفظ الماضي أقوى"[42]، ومثله التعبير {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ } : "... وإلى هذا يرجع الأمر في قوله: { وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ }؛ لأنه إنما قصد به الإخبار وعن تقادم الخوف. ثم استغنى بدلالة الحال وما يوجب مسألة الوارث وإظهار الحاجة عن الإخبار بوجود الخوف في الحال"[43].

ويتوسع الرازي في استنباط الدلالات المستفادة من التعبير بالفعل الماضي فيذكر الفروق الدلالية من حيث بنية الماضي كما في قوله تعالى : { ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ } [البقرة: 17] ، فيكشف عن الفرق الدلالي بين صيغتي الفعل(ذهب) و(أذهب) وأن في (ذهب) دلالة أقوى مما في (أذهب) ولذلك اختار التعبير بـ (ذهب)، يقول:" لم قال: {ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ } ولم يقل: أذهب الله نورهم ؟. والجواب: الفرق بين (أذهب) و(ذهب به) أن معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً ، ويقال: (ذهب به إذا استصحبه). ومعنى(به): معه. وذهب السلطان بماله أخذه قال تعالى:{ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ } [يوسف:15] ، و{ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ } [المؤمنون:91] والمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه ، { وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ } [فاطر: 2] فهو أبلغ من الإذهاب"[44].

ثم يعقد مقارنة بين التعبير بالفعل الماضي والتعبير بالمضارع ويبين الدلالة المستفادة من ذلك في كثير من المواضع ، ومنها في قوله تعالى: { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } [الشعراء:78] فيبن أنه عبر بصيغة الماضي (خلقني) حيث خلق (الذات) لا يتجدد في الدنيا بينما عبر عن (الهداية) بالمضارع لأنها تتجدد وتتكرر كل حين: " ثم ههنا دقيقة وهو أنه قال: (خلقني) فذكره بلفظ الماضي ، وقال: (يَهْدِينِ) ذكره بلفظ المستقبل ، والسبب في ذلك أن خلق الذات لا يتجدد في الدنيا ، بل لما وقع بقي إلى الأمد المعلوم ؛ أما هدايته تعالى فهي مما يتكرر كل حين وأوان سواء كان ذلك هداية في المنافع الدنيوية ، وذلك بأن تحكم الحواس بتمييز المنافع عن المضار ، أو في المنافع الدينية وذلك بأن يحكم العقل بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر. فبين بذلك أنه سبحانه هو الذي خلقه بسائر ما تكامل به خلقه في الماضي دفعة واحدة ، وأنه يهديه إلى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة ولمحة"[45].

2 . دلالة الفعل المضارع. يسمي الفخر الرازي الفعل المضارع غالبا بالمستقبل ، وغالبا ما يعبر عن دلالته بالتجدد والحدوث والتكرار كما في قوله تعالى: { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ

يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} [ص:18] فإن استعمال الفعل المضارع(يسبحن) يدل على: "...على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكان السامع حاضر تلك الجبال يسمعها تسبح "[46].

ومن خصائص التعبير القرآني أنه يعبر بالمضارع عن الفعل الماضي كما في قوله تعالى: {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [البقرة: من الآية 91] فقوله (تقتلون) مضارع وهو خطاب مشافهة ، لكن السياق والقرينة اللفظية (من قبل) تدل على أن المراد به الماضي ، وأن هذا القتل مرتبط بأسلافهم يقول:" قوله: { فَلِمَ تَقْتُلُونَ } وإن كان خطاب مشافهة لكن المراد من تقدم من سلفهم ويدل عليه وجوه: أحدها: أن الأنبياء في ذلك الزمان ما كانوا موجودين. وثانيها: أنهم ما أقدموا على ذلك. وثالثها: أنه لا يتأتى فيه من قبل ؛ فأما المراد به الماضي فظاهر لأن القرينة دالة عليه فإن قيل: قوله: { آمِنُوا} خطاب لهؤلاء الموجودين. و{ فَلِمَ تَقْتُلُونَ } حكاية فعل أسلافهم فكيف وجه الجمع بينهما؟ قلنا: معناه أنكم بهذا التكذيب خرجتم من الإيمان بما آمنتم كما خرج أسلافكم بقتل بعض الأنبياء عن الإيمان بالباقين "47.

ومن خصائص منهجه أنه غالبا ما يعقد مقارنة بين صيغ الأفعال المعبر بها كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [لقمان: 29] فقد بين تناسب الصيغة والمعبر عنه ، فقال: "... قال: (يُولِجُ) بصيغة المستقبل ، وقال في الشمس والقمر: (سخر) بصيغة الماضي ؛ لأن إيلاج الليل في النهار أمر يتجدد كل فصل ، بل كل يوم. وتسخير الشمس والقمر أمر مستمر "[48].

3 . الأمر ودلالاته. عرف الفخر الرازي الأمر بقوله :" الأمر طلب الفعل بالقول على وجه الاستعلاء "[49]، وأيضا عند تفسيره لقوله تعالى:{ فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} [المؤمنون: من الآية27]، يقول:" فاعلم أن لفظ الأمر كما هو حقيقة في طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء فكذا هو حقيقة في الشأن العظيم ، والدليل عليه أنك إذا قلت: هذا أمر بقي الذهن يتردد بين المفهومين وذلك يدل على كونه حقيقة فيهما"[50]. وعلى هذا فالأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام, وعلى ذلك يكون الأمر صادرا مما هو أعلى رتبة من المأمور. ويأتي الأمر بأربعة صيغ يدل فيها على دلالته الحقيقية ، وهي:

أولا: فعل أمر: مثل اقرأ أخرج. وثانيا: الفعل المضارع المقترن بلام الأمر مثل: (وليستعفف).

وثالثا: اسم فعل أمر نحو : " { عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ } [المائدة :105]. ورابعا: المصدر النائب عن فعل الأمر مثل : " {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا} [النساء: 36]

هذه الصيغ الحقيقة التي يدل الأمر فيها على دلالته الأصلية ، ويخرج الأمر عن دلالته الأصلية إلى دلالات بلاغية ، ولذلك جعل البلاغيون للأمر بابا من أبواب علم المعاني ذكروا فيه دلالاته المجازية . وفي المحصول يسهب الحديث عن الأمر وماهيته عند الأصوليين ، وقد ذكر خمسة عشر وجها لخروجه من معناه الحقيقي[51]. ولما كان القرآن الكريم هو النموذج الرفيع للبلاغة العربية فقد تعددت دلالات الأمر فيه وخاصة حينما يخرج عن دلالته الأصلية بقرينة تخلصه إلى أغراض بلاغية وقد رصدها الرازي في مواطن كثيرة من تفسيرها ومنها:

1. دلالة الأمر على الخبر. حيث يقرر أن الأمر والخبر متقاربان فيمكن إقامة كل واحد منهما مقام الآخر ، ويعطي على كل حالة أمثلة فيقول: "واعلم أن الخبر والأمر يتقاربان فيحسن إقامة كل واحد منهما مقام الآخر ؛ أما إقامة الأمر مقام الخبر كما في قوله: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ } [التوبة 80] ، وفي قوله: {قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً}[مريم:75] ، وأما إقامة الخبر مقام الأمر فكقوله: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } [البقرة: 233] و {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ}[البقرة: 228]"[52].

وكذلك في قوله تعالى:{ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [التوبة:82] يقرر: "وهذا وإن ورد بصيغة الأمر إلا أن معناه الإخبار بأنه ستحصل هذه الحالة"[53] ويبين أن هذا العدول فيه سعة في المعنى وأن التعبير بلفظ الخبر يفيد تأكيد معنى الأمر والمبالغة فيه :" ومعنى الآية: أنهم وإن فرحوا وضحكوا في كل عمرهم فهذا قليل ؛ لأن الدنيا بأسرها قليلة ، وأما حزنهم وبكاؤهم في الآخرة فكثير ؛ لأنه عقاب دائم لا ينقطع والمنقطع بالنسبة إلى الدائم قليل فلهذا المعنى قال:{ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرا}"[54] وكذا في قوله تعالى:{ الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229] ، هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الخبر إلا أن معناه هو الأمر ؛ أي طلقوا مرتين يعني دفعتين ، وإنما وقع العدول عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر لما ذكرنا فيما تقدم أن التعبير عن الأمر بلفظ الخبر يفيد تأكيد معنى الأمر. فثبت أن هذه الآية دالة على الأمر بتفريق الطلقات وعلى التشديد في ذلك الأمر والمبالغة فيه"[55].

2 . دلالة الأمر على الدعاء. وهي كما في قوله تعالى: {قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: من الآية119] ، يقول الرازي: "... وهو دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد من ازدياد الغيظ ازدياد ما يوجب لهم ذلك الغيظ من قوة الإسلام وعزة أهله ، وما لهم في ذلك من الذل والخزي"[56]. والمعنى: أن الله تعالى أمر رسوله الكريم والمسلمين أن يقولوا عند مواجهتهم اليهود بقوله: (موتوا بغيظكم) وعلى هذا خرج الأمر من دلالة الأمر والوجوب إلى دلالة الدعاء.

3 . دلالة الأمر على الإباحة. من الدلالات التي يخرج إليها الأمر الإباحة ، وهي: "الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل"[57] ، ومن أمثلته التي أشار إليها الرازي قوله تعالى: {وَإِذَا

حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ} [المائدة: من الآية2] فيقول: "هذه الآية متعلقة بقوله {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ}[المائدة 1] يعني: لما كان المانع من حل الاصطياد هو الإحرام ، فإذا زال الإحرام وجب أن يزول المنع ... ظاهر الأمر وإن كان للوجوب إلا أنه لا يفيد ههنا إلا الإباحة وكذا في قوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة: 10]"[58].

وقد فسرها في موضعها ، فقال: قوله تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ }[الجمعة: 10] ؛ أي: إذا صليتم الفريضة يوم الجمعة {فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ } هذا صيغة الأمر بمعنى الإباحة لما أن إباحة الانتشار زائلة بفرضية أداء الصلاة ، فإذا زال ذلك عادت الإباحة فيباح لهم أن يتفرقوا في الأرض ويبتغوا من فضل الله وهو الرزق "[59].

4 . دلالة الأمر على الزجر والتهديد. من دلالات الأمر البلاغية أيضا: التهديد والزجر ، كما في قوله تعال: { وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [إبراهيم: من الآية 30] فيبين الرازي المراد:" أن حال الكافر في الدنيا كيف كانت فإنها بالنسبة إلى ما سيصل إليه من العقاب في الآخرة تمتع ونعيم ، فلهذا المعنى قال: { قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ }، وأيضاً إن هذا الخطاب مع الذين حكى الله عنهم أنهم بدلوا نعمة الله كفراً فأولئك كانوا في الدنيا في نعم كثيرة فلا جرم حسن قوله تعالى: {قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } وهذا الأمر يسمى (أمر التهديد) ونظيره قوله تعالى:{ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ } [فصلت:40] وكقوله { قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } [الزمر: 8] "[60].

5 . دلالة الأمر على التعجيز. تخرج دلالة الأمر أيضا إلى التعجيز كما في قوله تعالى: { قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً }[الإسراء:50] فقد بينه: "وقوله: { قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً } ليس المراد منه الأمر ، بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله تعالى عن الإعادة "[61].

وكذا في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [الأعراف:194] حيث بين أن اللام في (فليستجيبوا) هي لام الأمر استعملت لغرض التعجيز يقول:" ومعنى هذا الدعاء طلب المنافع وكشف المضار من جهتهم واللام في قوله:{ فَلْيَسْتَجِيبُواْ }لام الأمر على معنى التعجيز ، والمعنى: أنه لما ظهر لكل عاقل أنها لا تقدر على الإجابة ، ظهر أنها لا تصلح للمعبودية"[62].

الهوامش.

.القرآن الكريم.

1 . الدولة الغزنوية :(351 . 582 هـ /1186962م ، ملوك هذه الدولة من الأتراك مؤسسها البتكين وكان انتشارها في أفغانستان والهند وأشهر سلاطينها محمود الملقب بيمين الملك وهو صاحب الفتوحات الواسعة في الهند وناشر الإسلام فيها ، كان مجلسه آهلا بالشعراء والعلماء وكان سقوط هذه الدولة على يد شهاب الدين الفوري. ينظر: ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، **البداية والنهاية** ، مطبعة السعادة ، د . ط ؛ مصر 1358هـ، ج12 ، ص27 - 49 ، ج6 ، ص223 ، ج11 ، ص286

2 . الدولة السلجوقية:(429591/1037-1194م)ينتسب سلاطين هذه الدولة إلى سَلجوق ، ويعود لهم الفضل في إعادة الوحدة السياسية في الدولة العباسية وأبرز سلاطينهم ملكشاة . نفسه ، ج12 ، ص43 و 54 و90 ، ج13 ص22 و 76

3 . الدولة الخوارزمية:(478629هـ/1077-1223م) والخوارزميون من أتراك بلاد ما وراء النهر جاؤوا ونشروا سلطانهم بين نهري الكنج ودجلة . مؤسس الدولة أنوشتكين ، وكان سقوطها بسبب غزوات المغول . نفسه ، ج12 ، ص154 ج13 ، ص105

4 . الدولة الفورية :(543612هـ/1148-1215م) انتشروا في بلاد الأفغان والهند ، مؤسس الدولة عز الدين حسن وآخر سلاطينهم علاء الدين محمد الذي استسلم لخوارزم شاه سنة612هـ . نفسه ، ج13 ، ص23 و 24.

5 .محمد لعريبي ، **المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي** ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ؛ بيروت : 1992م ، ص6

6 .ينظر: ابن الأنباري . **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، المرجع السابق ، ج1 ، ص235

7 . ينظر: السمين الحلبي. **الدر المصون ،** المرجع السابق ، ج 3، ص606 وما بعدها / أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري. **التبيان في إعراب القرآن** ، تح: علي محمد البجاوى ، (د.ط) إحياء الكتب العربية (د. ت)، ج1 ، ص170

8 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج 9، ص190

9 .المصدر نفسه ،ج9 ، ص191

10 .ينظر : السامرائي . **معاني الأبنية** ، المرجع السابق ، ص17

11 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج 5، ص62

12 .راجع: المصدر نفسه ، المواضع التالية:ج5، ص93، وص 75 /وج 12 ، ص63

13 .المصدر نفسه ،ج18 ، ص83

14 .الزمخشري . **الكشاف** ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 451

15 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج29 ، ص48

16 .المصدر نفسه ، ج28 ، ص183

17 .المصدر نفسه ، ج 29 ، ص121

18 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 195

19 .المصدر نفسه ، ج 25 ، ص116 ، 117

20 .الزمخشري. **الكشاف** ، المرجع السابق ، ج3، ص 484

21 .الواحدي. **البسيط** ، المرجع السابق ، ج 3، 464

22 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج12 ، ص131

23 .الشريف الجرجاني. **التعريفات** ، المرجع السابق ، ص 221

24 .المرجع نفسه ، ص 246

25 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج 21 ، ص30 ، 31

26 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج32 ، ص36 ، 37

27 .المصدر نفسه ،ج25 ، ص153

28 .المصدر نفسه ، ج10 ، ص81

29 .المصدر نفسه ، ج12 ، ص183

30 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج25 ، ص17 / والزمخشري . **الكشاف** ، المرجع السابق ، ج3، ص 435

31 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج20 ، ص153

32 .المصدر نفسه ، ج 29 ، ص92
33 .المصدر نفسه ، ج21 ، ص28
34.**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج14 ، ص181
35 .المصدر نفسه ، ج28 ، ص148
36 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج28 ، ص221
37.محمد محمد داود. **القرآن الكريم وتفاعل المعاني** .دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم .،ط1 ، دار غريب ، القاهرة :1422ه /2002م ، المقدمة
38.**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج 13 ، ص77
39.المصدر نفسه ، ج14 ، ص138
40 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج24 ، ص200
41.المصدر نفسه ، ج19 ، ص88 / وأيضا: ج30 ، ص134/وج4 ، ص 202
42.المصدر نفسه ، ج21 ، ص166
43 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج21 ، نفس الموضع
44 .المصدر نفسه ، ج 2 ، ص78
45 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج24 ، ص134
46 .المصدر نفسه ، ج26 ، ص170
47.**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج3 ، ص180/
48 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج25 ، ص139
49 .الفخر الرازي . **المحصول** ، المرجع السابق ،ج 2 ، ص 17
50 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج23 ، ص88
51 .الفخر الرازي . **المحصول** ، المرجع السابق ، ج2 ، ص17 وما بعدها
52.**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج 16 ، ص 77 / وج6 ، ص79
53 .المصدر نفسه ، ج 16 ، ص130
54 .المصدر نفسه ، ج 16 ، ص130
55 .المصدر نفسه ، ج 6 ، ص89
56 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج8 ، ص187
57 .الشريف الجرجاني ، **التعريفات** ، المرجع السابق ، ص 8
58 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج11 ، ص109
59 .المصدر نفسه ، ج 30 ، ص9
60 .**التفسير الكبير** ، المصدر السابق ، ج 19 ، ص102/والمواضع:ج27 ، ص116 / ج26 ، ص228
61 . المصدر نفسه ، ج 20 ، ص185
62 .المصدر نفسه ، ج15 ، ص77